

الشريعة الإلهية هي الطريق الأوحـد



«خُلِقَ الإنسان ليصل إلى السعادة والكمال الذي لا حداه، إلى لقاء الله عز وجل، (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمُلَاقِيهِ) (الإنشفاق/ 6). والطريق الوحيد الذي يضمن للإنسان هذا الهدف السامي والشريف هو الطاعة والعبودية التامة لله تعالى. فعن أمير المؤمنين(ع) يقول في عهده إلى مالك الأشتر: "هذا ما أمر به عبداً علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه... أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتاب من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعته...".

فإذا كان ما عند الله لا يدرك إلا بطاعته، كانت الطاعة فاصلةً على ما سواها، وكان القرب منه تعالى متوقفاً على ما فرضه علينا من الطاعة والتسليم له كما جاء في الحديث القدسي: "ما تقرب إليَّ عبد بمثل ما يتقرب إليَّ بالفرائض"، فإن السؤال الجوهرى والأساسى الذي ينبغى لنا الإجابة عنه هو كيف نطيع الله وبماذا؟ لقد أرسل الله تعالى إلى الناس شريعةً كاملةً وشاملةً تحتوي على كلِّ احتياجاتهم ومتطلباتهم، وهي تتضمن أوامر الله تعالى ونواهيه في كلِّ شأنٍ من شؤون هذه الحياة، ما ظهر منها وما بطن. وإن المبدأ الأساس الذى قامت عليه هذه الشريعة هو مصلحة الإنسان وسعادته. فكل ما جاء فيها

إنما كان لمصلحة الإنسان وسعادته. وهي الدستور والقانون الذي ينبغي أن يطاع الله به. فإذا أورد الإنسان أن يكون عبداً صالحاً سالماً نحو الله ورضوانه، ما عليه إلا أن يجتهد في اتباع هذه الشريعة بكل تفاصيلها بعد التعرف إليها وتعلم أحكامها، حلالها وحرامها، فيسعى بجد ونشاط لتطبيق هذه الأحكام حتى تسري في كل تفاصيل حياته، فتصبح أحكام الله تعالى هي الحاكمة في مملكة وجود الإنسان لا الأهواء النفسية الباطلة.

فطريق الجنة هو طريق الطاعة والتقوى، وهذه الطاعة إنما تتجلى من خلال الالتزام بشريعة الله (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَتْ تَقِيًّا) (مريم/ 63). أما لو استكبر الإنسان وعصى فترك عبادة الله، فإن جهنم هي المثوى: (إِنَّ السَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَاتِي سَيَدَخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر/ 60). فالعبد الحقيقي هو الذي يرجع إلى الشريعة قبل اتخاذ أي موقف، علماً منه بأنها تمثل إرادة الله، ومن لا يسلك طريق العبودية، فإنه يسرع إلى اتخاذ الموقف والقيام بالعمل من نفسه. وهذا هو السبب الأساسي في هلاك الإنسان، أي رجوعه إلى نفسه بدل الرجوع إلى ربه لمعرفة الحلال والحرام منه وما فيه مصلحته وخيره.

والشريعة الإلهية تنقسم إلى خمسة أحكام أساسية هي:

الحرام: وهو الذي يعاقب الإنسان على فعله.

الواجب: هو الذي يعاقب الإنسان على تركه.

المكروه: وهو الذي يثاب الإنسان على تركه ولا يعاقب على فعله.

المستحب: وهو الذي يثاب الإنسان على فعله ولا يعاقب على تركه.

المباح: وهو الحكم الذي يفسح فيه الشارع المجال للمكلف ليختار الموقف الذي يريده.

فالعبد الحقيقي لا يبيع لنفسه شيئاً إلا بعد عرضه على الأحكام الشرعية الأربعة، فإن لم يجده محرماً أو واجباً أو مستحباً أو مكروهاً يحكم بأنه مباح ويتصرف وفقه، لأن الله تعالى قد فوض إليه في هذه الحالة التصرف في هذا الشيء. وفي الواقع المتصرف هنا أيضاً هو إرادة الله التشريعية، وليس إرادة العبد واختياره، لأن الله تعالى هو الذي أباح هذا الأمر. وعليه لكي يصبح الإنسان من السالكن

لدرب الحق عليه:

أولاً: التعرف إلى شريعة الله من خلال تعلم الأحكام الشرعية.

ثانياً: العمل على تطبيق هذه الأحكام في حياته. ▶

المصدر: كتاب دروس في التربية الأخلاقية